المدرسة التَّاشفينية بتلمسان

جوهرة الفن الزياني

Al-Tashfiniya Madrasa in Tlemcen
Mastepiece of the Ziyanid Art

د. محمد لخضر عولمي*
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة
oulmimed@yahjoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/09/21 تاريخ القبول 2021/12/24 تاريخ النشر 2021/12/31

ملخص

شهد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني ازدهارا للعمارة والفن المغربي الأندلسي، وعرفت مختلف مدن المملكة وبشكل خاص مدينة تلمسان العاصمة، تشييد العديد من المعالم المعمارية من وقصور ومساجد ومدارس وزوايا وحمامات، وتعد المدرسة التَّاشفينية من أشهر العمائر التي شيدها سلاطين بنو زيان في حاضرة ملكهم تلمسان، وإلى جانب كونها منارة للعلوم، فقد كانت نموذجا مميزا للمستوى الراقي للعمارة والفن الزياني. ورغم تدميرها من طرف السلطات الاستعمارية، فقد كان هذا المعلم من أجمل ما شُيد من عمائر في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع عشر، لذلك يجب التعريف بهذا المعلم الذي يعد واحد من أبرز المعالم الحضارية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: بنو زيان؛ تلمسان؛ مدرسة؛ فن؛ عمارة

* المؤلف المراسل

Abstract
Under the reign of the Ziyanids, the Moorish art flourished in the central Maghreb, and several monuments were erected, especially in Tlemcen, the most famous of them, was al-Tashfiniya madrasa, which was the masterpiece of the Ziyanid art and architecture. This iconic monument of the Moorish art, was lost forever when, the French colonial authorities demolished it in 1878. Despite its importance, the monument remains unknown to most scholars interested in Muslim art, it would be worthwhile to rediscover that monument and make it known to a wider public since this monument sheds light on other aspects of Moorish art in Algeria.
Key words: Banu Zayan; Tlemcen; Madrasa; Art; Architecture

مقدّمة:

تعد المدرسة التَّاشفينية من أهم الإنجازات المعمارية والفنية التي شيدها سلاطين بنو زيان من عمائر بعاصمة ملكهم مدينة تلمسان كما يفهم ذلك من مختلف المصادر التاريخية، ورغم أن هذه المدرسة اندثرت تماما، فإن ما وصلنا من بقايا الزليج ومخططات ورسومات انجزت خلال الحقبة الاستعمارية قبل هدمها، يؤكد ما ذكره المؤرخون عن روعة هذه المدرسة وجمالها.

تتميز هذه المدرسة عن غيرها من المدارس المشيدة بالغرب الإسلامي بعدة خصائص معمارية وزخرفية، تجعل منها نموذجا معماريا وفنيا فريدا في تاريخ العمارة والفن بالغرب الإسلامي كما يظهر ذلك جليا من خلال النماذج القليلة من لوحات الزليج التي وصلتنا ومن خلال المخططات والرسومات السابقة الذكر، ورغم أهميتها في تاريخ الفن بالغرب الإسلامي عامة و الفن الزياني خاصة، فإن هذا المعلم يبقى مجهولا للكثير، لذلك يتوجب علينا إخراج هذا المعلم من طي النسيان وإلقاء نظرة جديدة عليه اعتمادا ما وصلنا من وثائق والمتمثلة في العديد من المخططات التي أنجزتها مصالح الهندسة للجيش الاستعماري الفرنسي، والرسومات التي انجزها المهندس دونجوا (E. Danjoy) والتقارير والرسومات التي قام بها المهندس دوتوا (E. Duthoit) الى جانب بعض لوحات الزليج وجزء من

البوابة الغربية للمدرسة المحفوظة بالمتاحف الجزائرية، من أجل التعريف بهذا المعلم ويكتنزه من روائع زخرفية فريدة من نوعها وجعلها في متناول المختصين في الفن الإسلامي خاصة، ولكل المهتمين بالفن والتراث الجزائري عامة.

لمحة تاريخية عن المدرسة

شُيِّدت هذه المدرسة من طرف السلطان الزياني أبي تاشفين الأول كما يشير إلى ذلك التنسي في معرض حديثه عن أعمال هذا السلطان حيث يقول" ...وحسن كذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير التي بناها بازاء الجامع الأعظم. ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيدة ، الا وشيد مثله بها، شكر الله له صنعه واجزل له عليه ثوابه"[1] غير ان هذا النص لا يذكر تاريخ تشييد المدرسة بالضبط. يفهم من الوصف الذي أورده المهندس إدمون دوتوا (E.Duthoit) حول بقايا الزخرفة النباتية التي شاهدها ببيت الصلاة، أنها كانت بنفس أسلوب زخرفة مسجد سيدي أبي الحسن الذي شُيد سنة 692 هـ / 1292 م، مما يؤدي بنا إلى الاعتقاد أن تاريخ بناء هذه المدرسة قريب العهد بتاريخ بناء مسجد أبي الحسن ، فمن المرجح انها شُيدت خلال الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي في عهد السلطان أبي تاشفين، أما الأستاذ لو سيان قولفين (L. Golvin) فيقول أن المدرسة شيدت سنة 728 هـ / 1327 م دون الإشارة الى الأسباب التي جعلته يعتقد ذلك [2]. الأمر الأكيد أنها شُيدت قبل سنة 736 هـ / 1335 م وهو تاريخ بداية الحصار الذي ضربه السلطان المريني أبو الحسن على تلمسان، فمن غير المنطقي أن يتم تشييد مثل هذا البناء خلال فترة الحرب والحصار الذي عرفته المدينة. شهدت المدرسة أعمال ترميم لاحقا في عهد السلطان أبي العباس وأصبحت ملحقة لزاوية سيدي لحسن المازيلي كما يشير الى ذلك الأستاذ رشيد برويبة[3]. تضررت المدرسة كثيرا خلال العهد العثماني كغيرها من معالم المدينة بسبب الإهمال وقلة الصيانة، وتدهورت وضعيتها أكثر خلال العهد الاستعماري، حيث حُولِت مرافقها

المختلفة إلى محلات تجارية وحُول المصلى إلى قاعة للحفلات[4]. هذه التغييرات أدت إلى تشويه معالم المدرسة بشكل كبير، وفي نهاية المطاف قامت السلطات الاستعمارية بهدمها كليا سنة 1878 لتبني على أنقاضها دار البلدية، وبذلك اندثر أحد أهم المعالم الإسلامية بمدينة تلمسان والجزائر والذي كان قلعة للدين الإسلامي ومنارة للعلم ونموذجا مميزا للفن المغربي الاندلسي.

الدراسة الوصفية والتحليلية لمخطط المدرسة

قامت مصالح الهندسية العسكرية للجيش الاستعماري بعد احتلاله لمدينة تلمسان، بإنجاز العديد من المخطط للمدرسة (شكل 01 و02) وهي المخططات التي نعتمد عليها في هذه الدراسة، والتي توضح أن المدرسة كانت تتبع مخطط مستطيل منتظم، عمقه أكبر من عرضه ويعتمد على محورين متعامدين: محور أول شمال- شرق /جنوب- غرب يمر عبر بوابتي المدرسة، ومحور ثاني شمال – غرب / جنوب – شرق يمر عبر المحراب ويتقطعان وسط الصحن المركزي للمدرسة.

تنتظم مرافق المدرسة حول صحن مركزي واسع عمقه 21 م 9.50 م[5]، يحيط به من الجهتين الشرقية والغربية رواق طويل مكون من سبعة عقود تقوم على دعائم مربعة، ومن الجهتين الشمالية والجنوبية رواق مكون من ثلاثة عقود تقوم بدورها على دعائم مربعة.

تتكون الجهة الجنوبية للصحن من رواق مكون من ثلاثة عقود، وهو معزول بجدار عن الرواقين الجانبيين للصحن[6]، وتفتح عليه بيت الصلاة التي تحتل القسم الجنوبي من المدرسة. هذه الأخيرة عبارة عن قاعة مستطيلة عرضها 17.30 م وعمقها 6.80 م[7]، تقسمها أربعة ركائز مدمجة في الجدارين الشمالي والجنوبي إلى ثلاث مساحات: مساحة وسطى مربعة يتوسط جدارها الجنوبي محراب مضلع ويغطيها على الأرجح سقف هرمي كما هو معهود في المنطقة في ذلك العهد، ومساحتان جانبيتان مستطيلتان، عمقهما

أكبر من عرضهما وتغطيهما سقوف ذات منحدرين (البرشلة)، ويعتقد الأستاذ جورج مارسي (G. Marçais) أن المساحة الغربية كانت تحتضن ضريح[8].

هذا التخطيط لبيت الصلاة المقسمة إلى ثلاثة مساحات، يشبه تخطيط بعض مدارس الشام وبشكل خاص تخطيط المدرسة الظاهرية بحلب[9]، وهو نفس التخطيط تقريبا المستعمل في بيت الصلاة لمدرسة أبي الحسن بسلا[10].

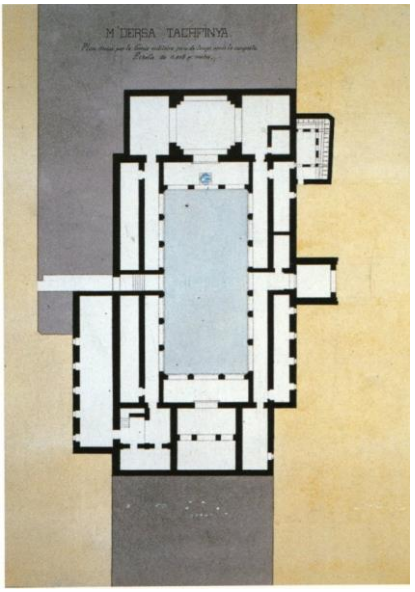

شكل 01: مخطط للمدرسة التَّاشفينية

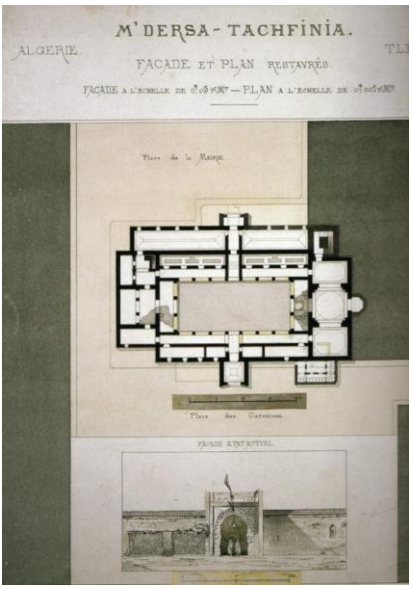

شكل 02: مخطط المدرسة التَّاشفينية

الجهة الشمالية للصحن المقابلة لبيت الصلاة، تتكون من رواق ذو ثلاثة عقود، تفتح عليه قاعة مستطيلة مقسمة بواسطة ثلاثة عقود تقوم على ركيزتين في الوسط وركيزتين مدمجتين في الجدارين الشرقي والغربي. لا نعرف بالتحديد وضيفة هذه القاعة بالضبط والمحتمل جدا أنها كانت تستعمل للتدريس كما يذهب إلى ذلك الأستاذ جورج مارسي (G. Marçais). تتصل هذه القاعة من الجهة الغربية بقاعة صغيرة عمقها أكبر من

عرضها، ومن الجهة الشرقية مساحة مربعة مقسمة بدورها إلى ثلاث مساحات أو قاعات صغيرة، واحدة من الجهة الشمالية وأخرى من الجهة الجنوبية تتصل بدورها بالرواق الشرقي للصحن، وأخرى من الجهة الشرقية بها سلم ربما كان يؤدي إلى طابق علوي؟ لا نعرف إن كان هناك طابق علوي، على الأقل لا نشاهد ذلك على المخططين السابقين.

يطل على الجهتين الشرقية والغربية للصحن رواقان، كل رواق مكون من سبعة عقود تقوم على ركائز مربعة، العقد الأوسط يؤدي بواسطة رواق إلى بوابتين: بوابة رئيسية تتوسط الجدار الغربي للمدرسة وبوابة ثانية في محور الأولى وتتوسط الجدار الشرقي. تقع خلف الرواقان السابقان وعلى جانبي رواق البوابتان، قاعة طويلة لا تفتح مباشرة على رواق الصحن وإنما بها فتحة فريدة عند طرفي الرواق من الجهتين الشمالية والجنوبية. يرى الأستاذ جورج مارسي أن هذه القاعات كانت تستعمل كمراقد للطلبة أو الزوار الغرباء عن المدينة[11]، أما الأستاذ لوسيان قولفين (L.Golvin) فيرى أن شكل هذه القاعات يعود إلى الترميمات التي شهدتها المدرسة، ويضيف أنه يمكن أن نتصور أن كل قاعة من هذه القاعات، كانت في الأصل مقسمة بواسطة جدران إلى غرف للطلبة تفتح على هذين الرواقين كما هو شائع في مثل هذه المدارس[12]. للمدرسة مئذنة، تبدو من خلال المخطط رقم 2، انها كانت مستطيلة وليست مربعة، تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدرسة وتتصل بالمساحة الجانبية الشرقية لبيت الصلاة.

عموما، هذه المدرسة في خطوطها العريضة لا تختلف عن بقية المدارس الأخرى بوجود صحن مركزي وغرف أو قاعات لإيواء الطلبة وبيت للصلاة. غير أن اهم ما يميز هذه المدرسة هي مساحتها الكبيرة، حيث يمكن تقدير أبعادها اعتمادا على مقياس الرسم المستعمل في المخطط رقم 02، حيث يقدر عمقها بحوالي 44 م وعرضها بحوالي 22 م[13]، مما يجعلها ثان أكبر مدرسة بالمغرب الإسلامي بعد المدرسة البوعنانية بفاس[14]. كما تتميز هذه المدرسة ببعض التفاصيل في تخطيطها عن بقية مدارس الغرب الإسلامي، أهمها

هو الجناح الشمالي للبناء المقابل لبيت الصلاة، أين نجد مجموعة من القاعات الصغيرة وساحة وهو الأمر الذي لا نراه في أية مدرسة أخرى، وكذلك وجود بوابتان تتوسطان الضلعان الكبيران للبناء، وهو أمر غير معهود في المدارس الأخرى، حيث يكون المدخل عادة في محور البناء ومقابل لبيت الصلاة. هذه التفاصيل في تخطيطها ومساحتها الشاسعة وزخرفتها تجعل من هذه المدرسة معلما معماريا وفنيا فريدا بالغرب الإسلامي.

الدراسة الوصفية والتحليلية للزخرفة

يفهم من وصف المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) عند زيارته للمدرسة سنة 1873، ومن خلال البقايا الزخرفية الأصلية التي مازالت في موضعها، أن الزليج كان يبلط الأرضيات ومحيط نافورة للمياه، كما كان يكسو الأقسام العلوية من الجدران وواجهة البوابة الغربية، أما العقود والأقسام العلوية من الجدران فكانت مكسوة بالزخارف المنقوشة على الجص، والسقوف مغطاة بسقوف البرشلة الخشبية (السقوف الهرمية).

وإن كانت المدرسة في حالة جيدة من الحفظ عندما زار بارجس (J.J.L. Bargès) مدينة تلمسان سنة 1852[15]، فقد تضررت لاحقا بشكل كبير بسبب تحويلها عن وضيفتها الأصلية إلى محلات تجارية وقاعة حفلات، حيث يشير المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) عند زيارته لها سنة 1873، أنها فقدت مجمل زخارفها الأصلية، ولم يتبق منها سوي جانب بسيط من الزليج الذي كان يكسو أرضياتها وجدرانها[16].

اندثرت المدرسة تماما ولم يصلنا منها سوى بعض لوحات الزليج النادرة، وإفريز كتابي على الجص، ولحسن الحظ وصلنا أيضا العديد من الرسومات الثمينة عن زخارف المدرسة أنجزها كل من المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) والمهندس أوجان دونجوا (E. Danjoy)، وتتمثل في رسومات للوحات الزليج التي كانت تبلط أرضيات الصحن و نافورة المياه وجدران قاعة الصلاة والبوابة الغربية للمدرسة. ورغم قلتها، فهي تعتبر من

أقدم وأجمل النماذج عن الزليج ليس في تلمسان وحدها وإنما بمنطقة الغرب الإسلامي ككل.

فيما يخص الأنواع الأخرى من الزخارف التي كانت تزدان بها المدرسة، فليست لدينا فكرة دقيقة عنها، فنحن لا نعرف انواع العقود التي كانت مستعملة فيها، والإشارة الوحيدة عن العقود كانت حول عقد باب بيت الصلاة حيث يقول المهندس دوتوا (E. Duthoit) أنه عقد حدوي[17]،كما أننا لا نعرف شيئا عن الزخارف الجصية التي كانت بدون شك تكسوا العقود والأجزاء العلوية من جدران المدرسة وبهو البوابات، ولا التشكيلات الزخرفية المستعملة عليها سواء كانت نباتية، هندسية أو كتابية.

زخرفة البوابة الغربية (شكل 03 و04)

كانت البوابة الغربية للمدرسة لا تزال قائمة إلى غاية سنة 1878 تاريخ هدم المدرسة، محافظة على مجمل زخارفها وكانت تعد بحق أجمل ما تبقى من هذه المدرسة كما أشار إلى ذلك المهندس دوتوا (E. Duthoit)[18]. هدمت هذه البوابة ولم يتبق منها سوى بعض القطع القليلة المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار الإسلامية بالجزائر العاصمة[19]، والرسم الذي أنجزه المهندس دونجوا (E. Danjoy) في إطار مشروعه لترميم المدرسة، وهو الوثيقة الوحيدة التي تعطينا صورة عن هذه البوابة كما كانت عليه في الأصل والتي تعد إلى جانب مسجد سيدي أبي الحسن أجمل الأمثلة عن الفن الزياني.

تتوسط هذه البوابة الواجهة الغربية للمدرسة، وهي بارزة بشكل كامل عن الجدار، ذات تخطيط مربع، سقفها ذو أربعة منحدرات ويغطيه من الخارج سقف هرمي من القرميد الأخضر، تؤدي عبر رواق طويل إلى الصحن. كانت البوابة خلال الحقبة الاستعمارية، محافظة على الجزء الأكبر من زخارفها، كما نشاهد ذلك على الرسم الذي أنجزه المهندس دنجوا (E.Danjoy)، وهو رسم لعقد البوابة في الحالة التي كانت عليها أنذاك

(شكل 04) كما أنجز رسم ثاني وهو رسم للبوابة كاملة كمشروع لترميمها (شكل 03)، وهي وثائق جد ثمينة باعتبارها الأدلة المادية القليلة التي وصلتنا عن هذه البوابة.

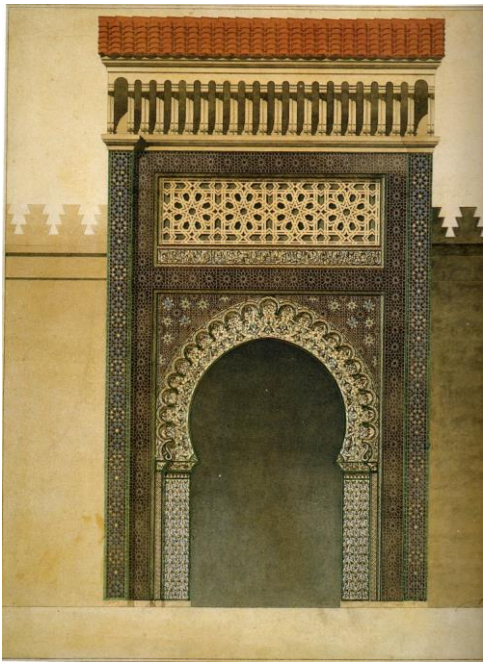

شكل 03: واجهة البوابة الغربية

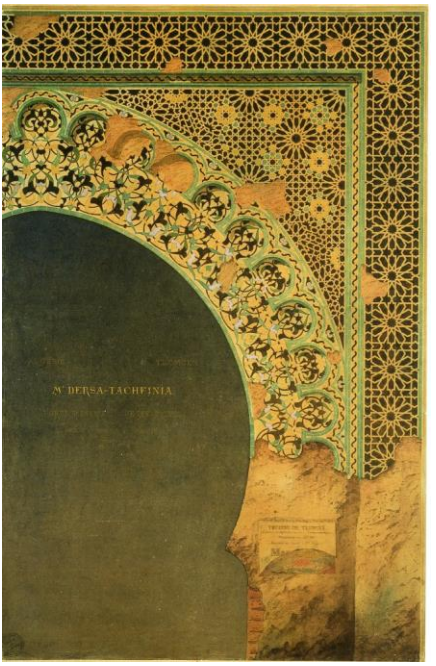

شكل 04: عقد البوابة

تتشكل واجهة البوابة (شكل 03) من باب ذو عقد حدوي منكسر، تحيط به ثلاثة دخلات متتالية (retraits). يؤطره من الخارج، إطار أول تكسوه طبقة من الزليج مشكل من صف عمودي من الأطباق النجمية السوداء ذات 12 رأس، يعتمد تخطيطها على المربع وتفصل بين رؤوس الطبق النجمي ومضلعاته المختلفة خيوط باللون الأبيض، يليه شريط ضيق من الزليج الأخضر. سطح عقد الباب (شكل 04) ناتئ ببعض السنتيمترات عن سطح الإطار السابق، يزينه عقد زخرفي مفصص (arc festonné) مكون من 23 فص دائري والمساحة المحصورة بين العقدين (voussure) مكسوة بطبقة

من الزليج المورق[20]، أي أنها منجزة بالعناصر النباتية بدل العناصر الهندسية المعهودة في هذا النوع من الزخرفة. تصميم زخرفة كل فص يقوم على أساس خمسة دوائر: دائرتان سفليتان كبيرتان تعلوهما دائرتان أصغر حجما وتتوجهما دائرة خامسة، وهي مشكلة من أغصان نباتية رفيعة سوداء تقوم عليها زهيرات كبيرة مشكلة من تقابل مروحتين ثلاثية الفصوص، وكل مروحة سوداء اللون ونهاية فصيها تكون إما خضراء أو صفراء، وكل زهيرة كبيرة تنتهي بزهيرة صغيرة ثلاثية الفصوص، قاعدتها زرقاء ورأسها أخضر، كما تتخللها زهيرات بسيطة قاعدتها صفراء ورأسها أزرق أو العكس.

كوشتي العقد مكسوتان بدورهما كليا بالزليج، ولكنه ذو تصميم هندسي، يعتمد تصميم زخرفة كل كوشة على طبق نجمي مركزي أسود اللون ذو 16 رأس، تحيط به أربعة أطباق نجمية ثُمانية الرؤوس صغيرة الحجم، اثنتان زرقاوان واثنتان صفراوان، وتفصل بين كل المضلعات التي تشكل هذه التركيبة الزخرفية، خيوط بيضاء.

القسم العلوي من البوابة فَقَدَ زخارفه الأصلية، ومن المحتمل جدا أنها كانت تتكون من إفريز عريض من الزليج ذو تصميم هندسي، وتنتهي بظلَّة مشكلة من كوابل من الأجر مشابهة لظلَّة بوابة مدرسة ومسجد سيدي أبي مدين بالعُبَّاد[21].

تعتبر هذه البوابة نموذجا فريدا من نوعه في العمارة بالغرب الإسلامي، وإذا كان شكلها العام لا يختلف عن شكل البوابات الزيانية أو المرينية التي كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية، فهي تتميز عنها بزخرفتها من الزليج، فهي أقدم مثال عن بوابة مزينة كليا بالزليج، وبلا شك فقد كانت النموذج الذي بنيت على منواله بقية البوابات المزينة بالزليج بمدينة لمسان، وما يدعم هذا الطرح أن أغلب هذه البوابات موجودة بمدينة تلمسان (بوابتي مسجد ومدرسة سيدي أبي مدين بالعُبَّاد، بوابة مسجد سيدي الحلوي، وبوابة المدرسة اليعقوبية)[22]، أما بالمغرب الأقصى فلا توجد هناك بوابة مرينية واحدة زخرفت بالزليج كما هو الحال في هذه البوابة، والمثال المريني الوحيد عن استعمال الزليج لكسوة

العقود في العمارة المرينية بالمغرب الأقصى نجده بمقبرة شالَّة[23]، وهو في الواقع أحد عقود البناء الداخلية وليس عقد للبوابة الخارجية للبناية، وقد شيَّد هذه المقبرة السلطان أبو الحسن علي سنة 739 هـ/ 1339 م، أي بعد احتلاله لمدينة تلمسان، فمن المحتمل جدا أن بوابة المدرسة التَّاشفينية كانت نموذجا لبقية البوابات المكسوة بالزليج بمدينة تلمسان وبمقبرة شالَّة. من جهة ثانية نلاحظ استعمال الزليج المورق بشكل واسع، مع استعمال تصاميم جد معقدة وتنوعا كبيرا في الألوان، مما يدل على تحكم كبير وبراعة في هذه الصناعة، فأقدم مثال بالمغرب الأقصى في عهد بني مرين المعاصرين لبني زيان، نشاهده في مدرسة الصَّهريج، ولكن كان بشكل جد محدود، حيث اقتصر استعماله على تزيين إطار المربع المحيط بنافورة المياه أمام مدخل الصحن.

هذا بالنسبة للواجهة، أما القسم الداخلي للبوابة (البهو)، فليست لدينا أية فكرة عن زخرفته، الشيء المؤكد أنه كان مزين بزخارف كتابية ونباتية منقوشة على الجص كما يفهم ذلك من كلام المهندس دوتوا (E. Duthoit) الذي يشير إلى وجود كتابات وعناصر نباتية تغطيها طبقة من الجبس الأبيض[24]. فيمكن أن تصور أن زخارفها كانت تشبه زخارف بوابة مسجد سيدي أبي مدين، فهذه الأخيرة تشبه بوابة المدرسة التَّاشفينية في تخطيطها وفي كسوة واجهتها بالزليج وفي الأفاريز الكتابية التي تزينها، مما لا يدع مجال للشك أن بوابة مسجد سيدي أبي مدين قد بُنيت وزخرفت على منوال بوابة المدرسة التَّاشفينية.

الزليج

كانت المدرسة خلال العهد الاستعماري قبل هدمها، لا تزال تحتفظ بجانب من الزليج الأصلي الذي كان يبلط القسم الأوسط من الرواقين الجنوبي والشمالي للصحن، ويكسو جدران بيت الصلاة، والقاعة الشمالية المقابلة لبيت الصلاة.

زليج الرواق الجنوبي

حافظ الرواق الجنوبي للمدرسة على جزء لا بأس به من الزليج الذي كان يبلطه وهو يمثل أهم وأجمل النماذج عن الزليج الزياني (شكل 05)، ورغم صغر مساحتها فهي تتميز بتنوع كبير في تصاميمها الهندسية، إلى جانب التصاميم النباتية المعقدة التي لم يكن استعمالها معهودا لتبليط الأرضيات، وهو الأمر الذي يبرهن على مدى أهمية هذه المدرسة وغناها والمستوى الراقي الذي بلغته صناعة الزليج في العهد الزياني. وكما نشاهده من خلال رسومات المهندس دونجوا (E. Danjoy)، فإن زليج هذا الرواق كان يتكون من نافورة للمياه دائرية تتوسط مساحة مربعة، مثلثاتها مكسوة بالزليج المورق، ثم بساط من الزليج ذو التصاميم الهندسية يبلط بقية الرواق.

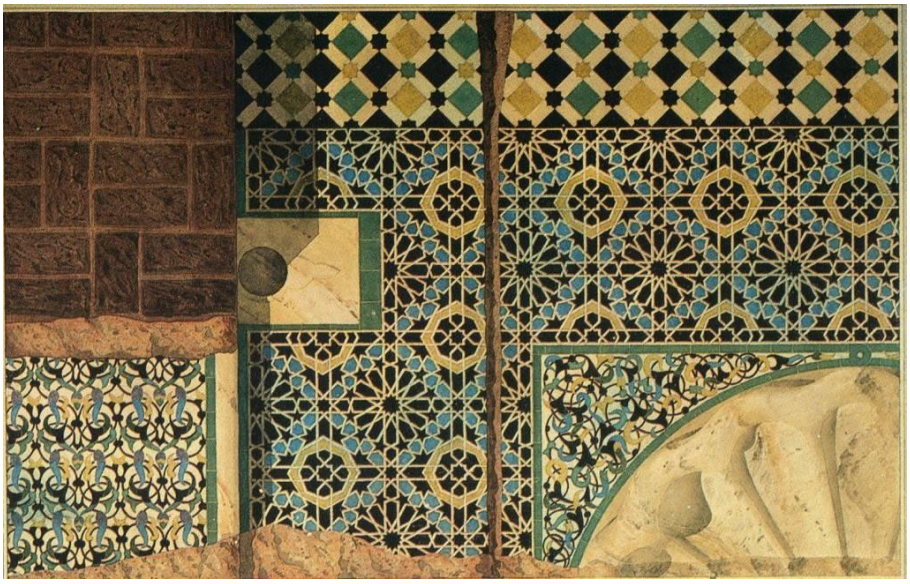

شكل 05: الزليج الذي يبلط الرواق الجنوبي للصحن عند مدخل قاعة الصلاة

يبلط القسم الأوسط من الرواق الجنوبي، زليج ذو تصميم هندسي يشكل أرضية لنافورة المياه السابقة الذكر، وهو يتكون من شبكة من الأطباق النجمية ذات 12 رأس يعتمد

تشكليها على التخطيط المربع وتتخللها معينات زرقاء تشكلها المضلعات الصغيرة الناتجة عن تقاطع أضلاع الأطباق النجمية، وتحصر في وسطها وبشكل متناوب الأطباق النجمية السابقة، ومضلعات ثمانية الأضلاع صفراء اللون. على جانبي القسم الأوسط من الرواق، شريط ضيق من الزليج ذو تصميم بسيط مكون من معينات صفراء وخضراء، تفصل بينها قضبان بيضاء تحصر فيما بينها نجوم ثمانية الرؤوس المسماة "خاتم سليمان" وهو من الأشكال القاعدية للزليج في المغرب الإسلامي وتستعمل عادة في كسوة الجدران.

زليج نافورة المياه (شكل 06)

تتوسط الرواق الجنوبي وأمام مدخل قاعة الصلاة، نافورة مياه صغيرة دائرية الشكل تتوسط مساحة مربعة مكسوة بالزليج. يؤطر المساحة المربعة والدائرة المحيطة بالنافورة إطار ضيق من الزليج الأخضر، أما المساحات المثلثة المحصورة بين دائرة النافورة وإطارها المربع، فهي مكسوة بالزليج المورق. تصميمها يعتمد على أغصان نباتية سوداء رفيعة تتخللها بعض الدوائر الصغيرة، تلتف بشكل حلقات لتغطي تلك المساحات المثلثة، وتتفرع منها مراوح ثنائية الفصوص تشبه تلك المستعملة في بوابة مسجد سيدي أبي مدين.

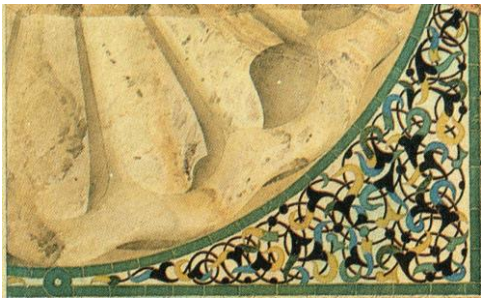

شكل 06: الزليج المورق الذي يؤطر نافورة المياه

استعملت في هذه التركيبة الزخرفية، مراوح ذات فصان كبيران متماثلان أو فصان غير متساويان، يلتفان في اتجاهين متعاكسين في غالب الأحيان. وتتميز بتعدد ألوانها منها

اللون الأسود، الأخضر، الأزرق، الأصفر والأبيض الذي يشكل الأرضية، وكل مروحة تتكون من لونين أو ثلاثة، حيث يكون عقب المروحة والجزء السفلي منها دائما باللون الأسود بينما فصاها يكونان بلون ثان ولكن في غالب الأحيان يكونان بلونين مختلفين[25]. يتخلل هذه المراوح نوعين من الزهيرات؛ زهيرات قاعدتها مستوية وفصها قليل الانحناء، وزهيرات أخرى قاعدتها دائرية وفصها يلتوي بشكل كبير، وتكون قاعدته بلون وفصها بلون أخر.

استعمل الزليج أو بالأحرى البلاطات الخزفية ذات التصميم المورق لأول مرة عند الموحدين في تيجان مئذنة جامع القصبة بمراكش[26]، كما استعمل فيما بعد في تيجان مئذنة مسجد سيدي أبي الحسن بتلمسان[27]، وكذلك بالمثلثات المحيطة بالنافورة عند مدخل صحن مدرسة الصَّهريج بفاس، غير أن استعماله في هذه النافورة كان بشكل واسع لم نراه من قبل، كما أنه يتميز بتصاميمه المعقدة وبألوانه المتعددة، فهي تضاهي في جمالها وتعقيداتها الزليج المورق الذي يزين كوشات عقود بوابة مسجد سيدي أبي مدين بالعُباد المشيد لاحقا.

زليج عتبة باب بيت الصلاة (شكل 07)

كانت تكسو عتبة بيت الصلاة، لوحة من الزليج يمكن اعتباره من أجمل ما صمم من زليج خلال القرن الرابع عشر الميلادي. فأول ما يشد الانتباه أنها من الزليج المورق الثمين والنادر، الذي كان استعماله يقتصر على كوشات العقود، لنجده في هذه المدرسة يستعمل لكسوة عتبة باب بيت الصلاة وتدوسه أقدام المصلين.

تصميمه يقوم على أساس دائرتين متماثلتين ومتقابلتين على جانبي محور مركزي وهمي، وهي مشكلة من أغصان نباتية رقيقة سوداء، تتفرع من كل دائرة مروحة ثنائية الفصوص القسم الأوسط منها أسود وفصاها خضراوان، يتقابلان عند المحور المركزي مشكلان زهيرة كبيرة ثلاثية الفصوص، وهو نوع من الزهيرات التقليدية واسعة الاستعمال في الزخرفة

الإسلامية. ويتوج نهاية الزهيرة برعم أخضر اللون قاعدته مكونة من فصين، أحدهما بنفسجي والأخر أصفر، وتتفرع من دائرتين أخريين تقعان في مستوى أعلى من الدائرتين السابقتين، زهيرتان قاعدتاهما بنفسجيتان وفصاهما زرقاوان، يتقابلان على جانبي المحور المركزي وفي المستوى الفاصل بين الزهيرتين الكبيرتين.

شكل 07: الزليج المورق الذي يبلط عتبة قاعة الصلاة

هذا التصميم في خطوطه العريضة، لا يختلف عن أحد التصاميم التي كانت تنجز على الجص وكانت شائعة الاستعمال في العمائر الإسلامية بتلمسان وفاس[28]، غير أنها في هذه اللوحة من الزليج، تتميز عن تلك المنجزة على الجص، بتناظرها ودقتها الكبيرة الذي يفرضها الزليج.

زليج الرواق الشمالي والقاعة الشمالية (شكل رقم 08)

حافظ الجناح الشمالي للمدرسة على جزء من الزليج الذي كان يبلط الرواق الشمالي والقاعة المطلة عليه. كانت أرضية الرواق مبلطة بزليج ذو تصاميم هندسية تتمثل في صفوف من أطباق نجمية ذات 18 رأس تتناوب مع صفوف أخرى مشكلة من أطباق

نجمية ذات 12 رأس، كل طبق نجمي محصور بداخل مضلع سداسي الأضلاع ويغلب عليه اللون الأسود، حيث أن كل الأطباق النجمية سوداء، مع استعمال اللونين الأخضر والأزرق ولكن بشكل محدود لبعض المضلعات الصغيرة التي تشكل المضلع السداسي الذي يحتضن الأطباق النجمية، وخيوط بيضاء للفصل بين مختلف المضلعات.

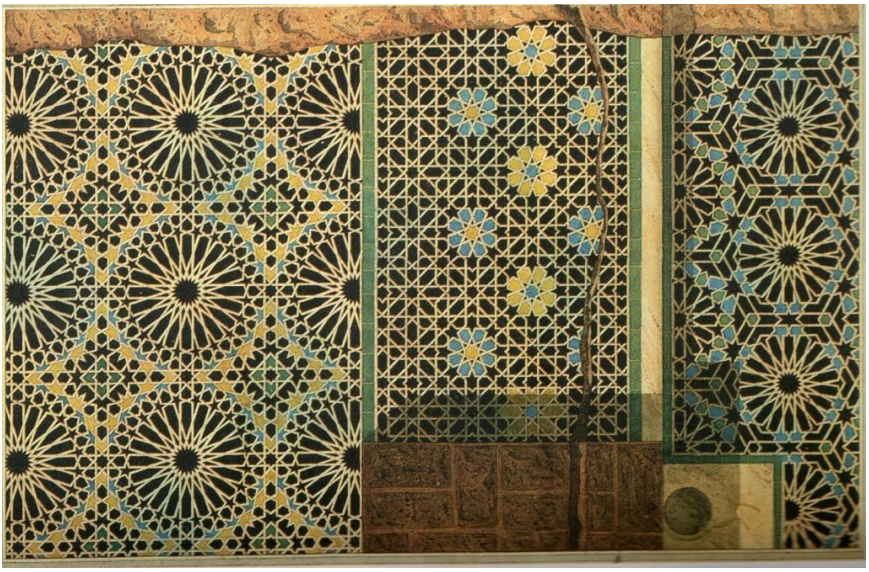

شكل 08: جانب من الزليج الذي يبلط الرواق الشمالي والقاعة الشمالية

أما عتبة الباب المؤدي من الرواق إلى الغرفة التي تفتح عليه، فهي بدورها كانت مبلطة بالزليج ذو الأشكال الهندسية، ويتمثل في شبكة من الأطباق النجمية ثمانية الرؤوس (المثمن) الصغيرة باللون الأزرق أو الأصفر، منظمة في صفوف متناوبة، تخطيطها يعتمد على المعينات، أما بقية مضلعات هذا التصميم والتي تشكل أرضية الأطباق النجمية فهي باللون الأسود. أما أرضية القاعة الشمالية التي تفتح على هذا الرواق، فكانت مبلطة بدورها بزليج تصميمه أكثر تعقيدا، يتكون من أطباق نجمية كبيرة ذات 20 رأس باللون الأسود، وتخطيطها يعتمد على المربع، بحيث أنه عند نقطة تقاطع أضلاع المربع تتشكل

نجمة ثمانية الرؤوس (خاتم سليمان) يحيط بها أربعة مضلعات خضراء تتوسط مساحة بشكل معين محصورة بين أربعة أطباق نجمية كبيرة، وأضلاعها مقعرة مشكلة بواسطة مضلعات صغيرة صفاء وزرقاء ناتجة عن تقاطع الخطوط التي تشكل تلك الأطباق النجمية.

زليج جدران بيت الصلاة (شكل 09)

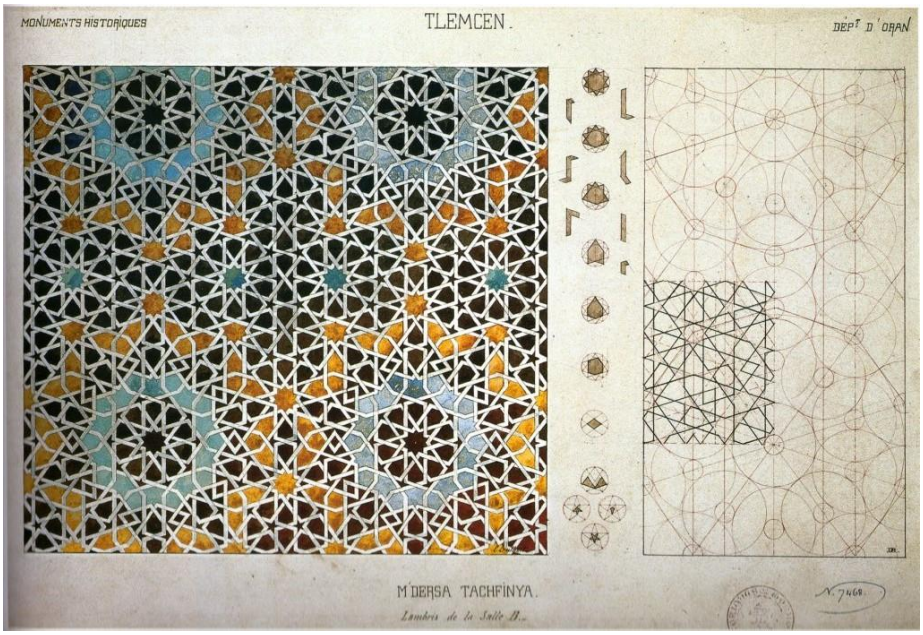

شكل 09 : الزليج الذي كان يكسو جدران قاعة الصلاة

حافظت بيت الصلاة على جزء من الزليج الذي كان يكسو جدارنها[29]، ويعتمد تصميمه على دائرة مركزية يتوسطها طبق نجمي ذو 10 رؤوس باللون الأسود يشكل مركز هذا التصميم، ويلتف حوله ما يشبه نجمة ذات عشرة رؤوس باللون الأزرق، مشكلة عن طريق الربط بين مجموعة من المضلعات الصغيرة الناتجة عن امتداد المضلعات المشكلة للطبق النجمي المركزي، وتلتف حولها حلقة كبيرة، تتكون من عشرة أطباق نجمية ذات

10 رؤوس، رسمت على المحاور العشرة لرؤوس الطبق المركزي، وهي باللون الأسود الذي يغلب على هذا التصميم مع اللون الأبيض كخيوط للفصل بين مختلف المضلعات المشكلة له، ولتعقيد هذا التصميم اكثر، استعمل اللون البُني للنجوم ثمانية الرؤوس التي تشكل مركز الأطباق النجمية، وللربط بين بعض المضلعات الصغيرة المشكلة للأطباق النجمية العشرة بحيث تشكل نجمة كبيرة بُنية اللون، فيبدو هذا التصميم على هيئة نجمة مركزية ذات عشرة رؤوس زرقاء تحيط بها نجمة بُنية كبيرة على أرضية من المضلعات السوداء.

تعد هذه اللوحة من أجمل وأعقد نماذج الزليج الذي يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وهي مماثلة في تصميمها لوحة من الزليج تكسو جانبي مدخل قاعة الصلاة لمدرسة العطَّارين بفاس[30].

إلى جانب اللوحات السابقة الذكر والتي أمكن تحديد أماكنها بالمدرسة، هناك لوحات أخرى من الزليج رسمها المهندس إدمون دوتوا (E. Duthoit) دون الإشارة إلى أماكنها بالمدرسة.

اللوحة الأولى (شكل 10) تتكون من شبكة من الأطباق النجمية الصغيرة ثمانية الرؤوس (المثمن)، مركزها نجمة ثمانية الرؤوس سوداء (خاتم سلميان)، ويحيط بكل طبق نجمي مضلع ثُماني الأضلاع، إما أصفر اللون أو أزرق اللون بشكل متناوب بحيث تشكل صفوف من المضلعات الصفراء تتناوب مع صفوف من المضلعات الزرقاء. ويغلب على هذا التصميم اللون الأسود لمحمل المضلعات والتي تفصل بينها الخيوط البيضاء.

اللوحة الثانية (شكل 11) ذات تصميم يقوم على أساس شبكة من الأطباق النجمية ثمانية الرؤوس سوداء، وبفضل استغلال الألوان الزرقاء، الخضراء والصفراء، تمكن مصمم هذه التركيبة الزخرفية من التوصل إلى إنجاز لوحة من الزليج غاية في التعقيد والجمال والتوازن. اعتمد مصمم هذا اللوحة على شبكة من الأطباق النجمية الصغيرة ثمانية

رؤوس(الثمن)، واستغل اللون الأزرق للربط بين بعض المضلعات الناتجة عن تقاطع خطوط رسم الطبق النجمي المركزي، ليشكل مضلع ثماني الأضلاع أزرق، يحتضن طبق نجمي أسود يشكل مركز هذه اللوحة، ثم استعمل اللونين الأخضر والأصفر لتلوين المضلعات الصغيرة المحصورة بين الطبق النجمي الأسود والمثمن بشكل متناوب باللونين الأخضر والأصفر. كما أستغل اللون الأزرق لتلوين بعض المضلعات الأخرى بحيث تشكل نجمة كبيرة ثمانية الرؤوس زرقاء تلتف حول المثمن والطبق النجمي المركزي، وبنفس الأسلوب استعمل اللون الأصفر ليشكل مثمن كبير يشكل إطار للتركيبة الزخرفية على أرضية سوداء تشكلها بقية المضلعات.

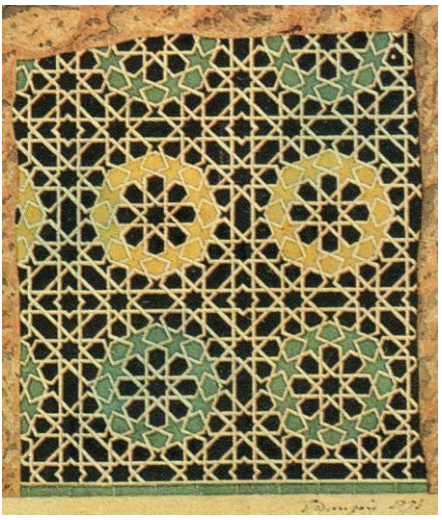

شكل 10: نموذج من زليج المدرسة

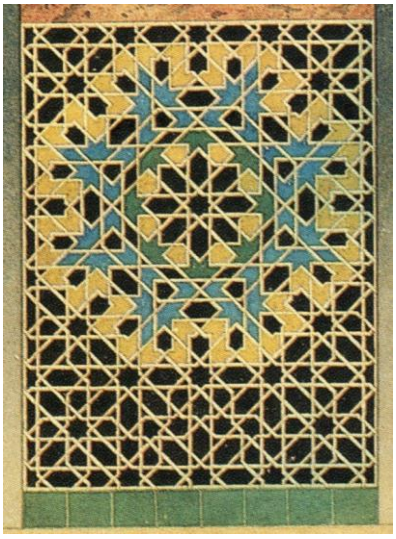

شكل 11: نموذج من زليج المدرسة

الزخارف الجصية

لا نعرف الشيء الكثير عن الزخارف الجصية التي كانت تزين هذه المدرسة، ولا شك أنها كغيرها من مباني ذلك العهد، كانت مزينة بزخارف جصية تكسوا الأجزاء العلوية من الجدران والعقود. يشير المهندس أدمون دوتوا عند زيارته للمدرسة سنة 1873 إلى وجود

بعض البقايا من الزخارف المنقوشة على الجص خلف ركائز بيت الصلاة، وصفها بشكل مختصر، مكتفيا بالقول أنها لا تقل جمالا عن الزخارف التي تزين مسجد سيدي أبي الحسن، بل تضاهيها في جمالها و في دقة إنجازها[31]، مضيفا أنها تختلف عن زخرفة المباني المغربية[32]، وقام برسمها، غير اننا لم نعثر علي تلك الرسوم التي كان من الممكن أن تعطيها صورة أوضح عن تلك الزخرفة. كما أشار إلى وجود زخارف جصية أخرى تزين الجدران الداخلية لبهو البوابة الغربية وهي كتابات لنصوص قرآنية تتخللها توريقات تخفيها طبقة من الجبس[33]

وإن كانت تلك البقايا الجصية قليلة فهي ثمينة. فوجودها خلف الركائز يؤكد إن هذا النوع من الزخرفة لم يقتصر على المحراب كما هو معهود[34]، وإنما أمتد لتزيين بقية جدران هذه القاعة، كما أن وجود بقايا من الزليج التي كانت تكسوا جدران هذه القاعة و وجود إفريز كتابي منحوت على الجص، يؤدي بنا إلى تصور أن هذه القاعة كانت مكسوة كليا بالزخارف الجصية، فالأجزاء السفلية من الجدران يكسوها الزليج يعلوه إفريز كتابي على الجص، والأجزاء العلوية من الجدران مزينة بزخارف منحوتة على الجص، أما القاعات الأخرى فكانت خالية من الزخارف كما يقول المهندس دوتوا[35].

الزخارف الكتابية

إلى جانب الأشرطة الكتابية التي أشرنا لها أعلاه والتي كانت تزين بهو البوابة الغربية، يوجد شريط كتابي محفوظ بمتحف تلمسان، ومن المرجح جدا انه الشريط الكتابي الذي كان موجودا ببيت الصلاة والذي أشار إليه المهندس دوتوا (E. Duthoit)، دون أن يحدد مكان وجوده بشكل واضح ودقيق[36]. ولكن من خلال تصميمه يمكن القول انه كان يقع فوق مستوى الزليج الذي كان يكسو الأجزاء السفلية من الجدران ويشكل بداية للزخرفة الجصية. وهو عبارة عن إفريز كتابي عريض ذو تصميم معقد، يبلغ عرضه حوالي 25 سم، مكون من ثلاثة أشرطة كتابية: شريط مركزي بالخط الكوفي عرضه حوالي

15 سم، محصور بين شريطين كتابيين ضيقين بالخط النسخي، عرضهما حوالي 5 سم (شكل 12) الشريطان العلوي والسفلي، عبارة عن خراطيش أطرافها أقواس صغيرة مفصصة، وكل خرطوشة مكونة من خيطين مضفورين تربط بينها جامة صغيرة مفصصة مزينة بمراوح معرَّقة صغيرة. نقش بداخل الخراطيش نص كتابي بالخط النسخي، تتكرر فيه عبارة " الملك لله إله العالمين"، وعبارة "لله الملك الدائم". يفصل هذان الشريطان عن الشريط الكتابي المركزي، شريط هندسي مكون من ضفيرة على هيئة صف من القلوب من الجهة السفلية وصفين من القلوب المتقابلة من الجهة العلوية.

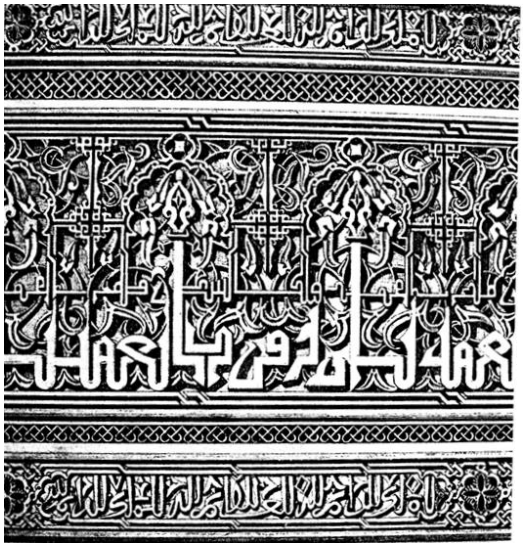

شكل 12: إفريز كتابي من المدرسة التَّاشفينية

المساحة المركزية من هذا الإفريز، يحتلها شريط كتابي بالخط الكوفي يشكل العنصر الزخرفي الأساسي في هذا الإفريز، وهو يتميز بالتنوع والتعقيد في التصميم. وهو شريط كتابي عريض، تحتل قاعدته حوالي ثلث هذه المساحة، وهو بالخط الكوفي البسيط، نهاية حروفه مقطوعة ومدببة، حروف "الألف" تمتد عموديا بشكل كبير وتفصل بينها مسافات

متساوية، وكل حرف زُينت نهايته بمروحتين ثلاثية الفصوص متقابلتين بحيث تشكلان زهيرة سهمية الشكل، فيبدو كل حرف على هيئة عمود ينتهي بزهيرة، وهو الأمر الذي نراه في الإفريز الكتابي بالخط الكوفي على جانبي عقد المحراب بمسجد سيدي أبي الحسن بتلمسان[37].

كما يوجد شريط كتابي ثان بالخط الكوفي، ولكنه رفيع يتوسط هذا الإفريز، ويقع فوق الشريط الكتابي الأول، يتظافر فيه حرفي "الألف" و"اللام" ويشكلان عقود مفصصة تلتف حول حروف "الألف" للشريط الكتابي الأول من جهة، ويتقاطعان فيما بينهما من جهة ثانية، مشكلان عُقد معقدة لملء الفراغ بين العقود المفصصة. أرضية النص الكتابي، مزينة بشكل كثيف بالعناصر النباتية، تتشكل من أغصان نباتية رقيقة تلتف على هيئة صف من القلوب وتنتهي في الأعلى بحلقتين تشكل أرضية للنص الكتابي، وتتخللها دوائر تتفرع منها مراوح ثنائية الفصوص تزين الفراغات بين حروف النص الكتابي السفلي، وزهيرات ذات فص واحد تزين الجزء العلوي من أرضية النص وبشكل خاص العقود المفصصة. هذه المراوح والزهيرات تشبه في أشكالها المراوح والزهيرات الملساء ولكن تختلف عنها في شيء واحد وهي أنها مزينة بحزة عميقة تمتد بطول فصوصها، وهي في ذلك تشبه بعض المراوح والزهيرات المستعملة في الشريطين الكتابيين على جانبي محراب مسجد سيدي أبي الحسن[38].

هذه اللوحة وإن كان الخط المستعمل فيها، سواء الخط الكوفي أو النسخي بسيط، فهي ذات تصميم نادر من حيث الجمال والتوازن والانسجام بين مختلف العناصر المكونة له، وهو نفس التصميم تقريبا الذي نشاهده لاحقا في الأفاريز الكتابية السفلية لبهو بوابة مسجد سيدي أبي مدين بالعُبّاد[39]، ويعد من أجمل الأفاريز الكتابية التي ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي بالمغرب الإسلامي.

خاتمة

لقد اندثرت المدرسة التَّاشفينية ولم يتبق منها سوى الجزء اليسير من الزليج الذي كان يزينها، مجمل اللوحات الزليج وتصاميمه المتنوعة نعرفها من خلال الرسومات التي قام بها كل من المهندس أوجان دونجوا والمهندس إدمون دوتوا والقليل منها محفوظ بالمتاحف الجزائرية. وهو يتميز بتنوع كبير في تصاميمه سواء كانت نباتية أو هندسية، بحيث يعد بحق من أجمل الأمثلة عن الزليج بالمغرب الإسلامي التي تعود إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وهذا ما يدل على اهمية الزليج في العمارة الزيانية والمستوى الرفيع الذي بلغه هذا الفن في مدينة تلمسان التي كانت واحدة من المراكز الرئيسية لهذا الفن وورشات صناعته تضاهي ورشات غرناطة وفاس.

تتميز التصاميم الهندسية المستعملة بالتنوع الكبير الذي لا نشاهده في أي معلم أخر بالمغرب الإسلامي يعود إلى تلك الحقبة التاريخية رغم المساحات الصغيرة التي حافظت على الزليج الأصلي الذي كان يكسوها. وإلى جانب التصاميم الهندسية البسيطة التقليدية، نجد مجمل تصاميم المعقدة التي تعتمد بشكل أساسي على الأطباق النجمية، حيث نجد تقريبا كل أنواع الأطباق النجمية المعروفة والتي تعد من التصاميم النموذجية للزليج بالمغرب الإسلامي منذ القرن الرابع عشر الميلادي، منها الأطباق النجمية القاعدية ثمانية رؤوس (المثمن)، والأطباق النجمية الأكثر تعقيدا ذات 10 او 16 رأسا وحتى 20 رأس، وأجمل هذه التصاميم وأندرها تلك التي تكسو جدران بيت الصلاة.

ولعل أبرز ما يميز زليج هذه المدرسة، هو الزليج المورق الذي يتطلب مهارة عالية لإنجازه نظرا لصعوبة تقطيعه بالدقة المتناهية التي يتطلبه أشكال قطعه ذات الخطوط الإنسيابية، ومن ثمَّ يمكن تجميعها حسب تخطيطها الأولي بشكل صحيح. وإن كان الزليج المورق معروفا بالمنطقة منذ عهد الموحدين، حيث نشاهده في تيجان مئذنة جامع القصبة بمراكش، ففي هذه المدرسة نشاهد استعماله بشكل واسع، في فتحة عقد بوابة المدرسة وفي المثلثات التي تحيط بنافورة المياه، وفي عتبة باب قاعة الصلاة، بتصاميم جد معقدة

تضاهي تلك المستعملة على الجص، مع تعدد في ألوانها بحيث لا يضاهيها سوى الزليج المورق لبوابة مسجد سيدي أبي مدين، وعقد مقبرة شالَّة اللذان يعود تاريخ تشييدهما في نفس السنة تقريبا (739 هـ/ 1339 م) أي أنهما شُيدا بعد احتلال السلطان المريني أبي الحسن لمدينة تلمسان.

كما نلاحظ أن استعمال الزليج ذو التصاميم الهندسية المعقدة كالأطباق النجمية والنباتية لم يقتصر على كسوة الجدران كما كان شائعا في ذلك العهد، وإنما توسع استعماله لتبليط الأرضيات، وهو أمر نادر على الأقل في المباني المرينية التي وصلتنا[40]، هذا ما يدل على أهمية هذه المدرسة التي لم يدخر السلطان أبو تاشفين جهدا ولا مالا في بناءها وتزيينها بأرقى الفنون الزخرفية التي كانت سائدة في عهده ومنها فن الزليج، كما يدل ذلك على أهمية هذا الفن الزخرفي ومدى التطور الذي بلغه في عهده. كما نلاحظ أن الألوان المستعملة في الزليج المورق تختلف عن تلك المستعملة في الزليج ذو التصاميم الهندسية، ففي النوع الأول كان الاعتماد على اللون الأبيض الذي يشكل أرضية للعناصر النباتية، مع استعمل اللون الأسود للأغصان وللجزء السفلي والأوسط للمراوح ذات اللونين، واستعمل اللونين الأخضر والأزرق بشكل كبير في المراوح وبدرجة أقل اللون والبنفسجي واللون الأصفر.

أما بالنسبة للتصاميم الهندسية، كان الاعتماد بشكل أساسي على اللون الأسود الذي شكلت منه أغلب الأطباق النجمية ومختلف المضلعات المشكلة لتلك التصاميم، إلى جانب اللون الأبيض الذي يشكل خيوط رقيقة تفصل بين المضلعات، كما أستعمل اللون الأزرق واللون الأصفر ولكن بنسبة أقل لتشكيل الأطباق النجمية والمضلعات الصغيرة للمساهمة في تعقيد التشكيلات الزخرفية وإضفاء لمسة من الضوء عليها، أما اللون الأخضر فهو نادر الاستعمال. كما تجدر الإشارة إلى ان مختلف لوحات الزليج

سواء كانت هندسية او نباتية، تتميز بوحدة في تصاميمها وفي الوانها وبانسجام فيما بينها وبين المساحات التي تزينها، هذا ما يؤكد انها أنجزت على دفعة واحدة عند بناء المدرسة.

وإن لم تصلنا نماذج من الزخارف الجصية، فإن النموذج الفريد من الكتابات المنقوشة على الجص الذي وصلنا، يعد من أجمل ما وصلنا من فن الخط العربي بالغرب الإسلامي الذي يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي، مما يدل على المستوى الراقي الذي بلغه هذا الفن في عهد بني زيان خلال تلك الفترة.

عموما إن هذه المدرسة من خلال تخطيطها وزخارفها تدل على المستوى الراقي الذي بلغه الفن الإسلامي في عهد بني زيان خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وبشكل خاص في فن الزليج الذي يعد واحد من أهم مميزات الفن المغربي الأندلسي، حيث أن زليج هذه المدرسة يضاهي إن لم يتفوق على أجمل ما انتجته ورشات فاس وغرناطة من زليج، مما يدل على المساهمة الفعَّالة للمغرب الأوسط وبشكل خاص مدينة تلمسان في إيجاد وتطوير مدرسة خاصة في الفن الإسلامي والتي أصبحت تميز منطقة الغرب الإسلامي منذ ذلك التاريخ والتي تعرف باسم الفن المغربي الأندلسي.

كما تتميز هذه المدرسة بمخططها الفريد من نوعه، فهي من حيث المساحة تعد ثاني أكبر مدرسة بالغرب الإسلامي، وإن كان مخططها في خطوطه العريضة يشبه ما هو معهود في بقية المدارس، غير أنها تتميز بشكلها المستطيل بشكل واضح وعرضه أكبر من عمقه مع وجود بوابتين تتوسطان الجدارين الشرقي والغربي للمدرسة، ومجموعة من القاعات والغرف من الجهة الشمالية المقابلة لقاعة الصلاة.

يتضح مما سبق أن هذه المدرسة كانت نموذجا معماريا وفنيا فريدا من نوعه في تاريخ العمارة والفن المغربي الأندلسي ولا يمكن دراسة الفن والعمارة بالمغرب الإسلامي دون التعرف على المعلم الذي كان واحدة من منارات الإسلام والعلم والثقافة في تاريخ الجزائر وتاريخ المغرب الإسلامي.

التهميش

[1]التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من كتاب نظم الدّر والعيقان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه محمود بو عياد، الجزائر، 1985، ص. 141

[2] L. Golvin, La madrasa médiévale, Aix-en-Provence, Édisud, 1995. p.199

[3] R. Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, Alger, Sned, 1981, p. 197

[4] E. Duthoit, Rapport sur les monuments historiques de l'Algérie : Architecture musulmane dans la province d'Oran, Amiens, 1875, p. 90

[5] E. Duthoit, op.cit., p. 91

[6]من المحتمل جدا أن هذه الجدران التي تعزل الرواقين الشرقي والغربي عن الرواقين الشمالي والجنوبي من التعديلات والترميمات التي شهدتها المدرسة في عهد السلطان أبي العباس الذي حكم ما بين 1430 و1451م.

[7] E. Duthoit, op.cit., p. 92

[8] G.Marçais, « Remarques sur les médersas funéraires en Berbérie » in Mélanges Gaudefroy-Demonbynes, le Caire, 1934, p. 276

[9] Ch. Terrasse, Médersas du Maroc, Paris, A. Morancé, 1927, pp. 15-17

[10] G. Marçais, « Remarques sur les médersas … », op.cit., p. 274

[11] Id, 274

[12] L. Golvin, op.cit., p. 200

[13]ما يدعم هذه التقديرات لأبعاد المدرسة، مقاسات الصحن وقاعة الصلاة التي ذكرها المهندس إدمون دوتوا

[14] Ch. Terrasse, op.cit., pp. 24-29

[15] [15] J.J.L. Bargès, Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom, Paris, Benjamin Duprat, 1859, p. 333

[16] E. Duthoit, op.cit., p. 92.

[17] Id, p. 91

[18] E. Duthoit, op.cit., p. 96

[19]في الوقت الراهن ما تبقى من قطع الزليج التي كانت تكسوا عقد البوابة الغربية مثبتة على لوحة من الجص ولكن بشكل لا يحترم وضعيتها الأصلية على العقد.

[20]للمزيد من المعلومات حول مختلف تقنيات صناعة الزليج، أنظر.

A. Paccard, Le Maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture, Annecy, Ed. Atelier 1974, 1981, t. I, pp. 357- 452.

[21] G. Marçais, Les monuments arabes de Tlemcen, Paris, Albert Fontemoing Editeur, 1913, pl. VIII.

[22] Ch. Brosselard, Les tombeaux des émirs Beni-Zeyna, et de Bouabdil dernier roi de Grenade découverts à Tlemcen, Extrait du journal asiatique (Janvier-février 1876), Paris, Imprimerie nationale, 1876, p. 392

[23] E. Levi-Provençal & H. Basset, Chella : une nécropole mérinide, Hespéris, 1922, pl. IX

[24] Duthoit. E, op.cit., p. 96

[25]عقب المروحة والجزء السفلي منها يكون دائما أسود، بينما الفصان يكونان باللون الأخضر والأزرق، أو الأخضر والأصفر، او الأزرق والأصفر.

[26] H. Basset & H. Terrasse, Sanctuaires et Forteresses almohades, Paris, Larose Editeur, 1932. p. 309.

[27] W & G. Marçais, Les monuments arabes de Tlemcen, pp. 183-184, fig. 34

[28] H. Gayot, Le décor floral dans l'art de l'Islam occidental, Rabat, 1955, pp. 42-44

[29]هذه البقايا من الزليج كانت موجودة خلف الركائز، أنظر.

E. Duthoit, op.cit., p. 92

[30] Ch. Terrasse, op. cit., p. 25

[31] E. Duthoit, op.cit., p. 92

[32]من المرجح انه كان يقصد بمصطلح " الزخرفة المغربية"، زخرفة المعالم المرينية بمدينة تلمسان.

[33] Id, p. 96

[34]كل ما نعرفه عن المحراب هو انه كان مضلع الشكل وبارز عن الجدار الجنوبي كما يظهر ذلك على مخططات المدرسة

[35] Id, p. 96

[36] E. Duthoit, op.cit., p. 94

[37] R. Bourouiba, Les Inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie Alger, Opu, pp, 24-25

[38] Id, pl. XIX-4

[39] W & G. Marçais, op.cit., fig. 55

[40]فالمبنى المريني الوحيد الذي نشاهد فيه استعمال أطباق نحمية لتبليط الأرضية هو إحدي القاعات الواقعة خلف مسجد مقبرة شالّة، أنظر.

Ch. Terrasse, op.cit., p. 2.